ابن سينا عالماً ومفكراً

أ.د. ناصر أحمد الخوالدة

رئيس جامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمان

ما قبل:

نلاحظ أن الدنيا كأنما اكتفت الدنيا القديمة في قرونها الأخيرة بعمالقة الفلسفة الثلاثة أو كأنها ارتضت المدينة ثمرات ذلك التفكير الناضج فلم يهتز التفكير بفلاسفة فطاحل يظهرون بعد أرسطو إلى عدة قرون والظاهر أن بعض النتاج الإغريقي لم يصل إلينا على أن ما وصل كان كافياً ليطغى فوائد المعرفة إلى اليوم.

وتمضي القرون مع عجلة الزمن ثم تظهر الدعوة الإسلامية وتعلوا المآذن وتنتشر المساجد شرقاً وغرباً ويدخل الناس في دين الله أفواجاً ويجد بعض سكان البلاد التي ساد فيها الإسلام طمأنينة وتسامحاً لم يعهده في أزمان حكم عرفت فيها الاضطهادات من إختلاف الملة.

فقد كتب أحد العلماء ما كورفيك يقول أن العرب ترجموا المؤلفات الإغريقية وخاصة الفلسفية إلى العربية وأن المؤلفات الاغريقية وخاصة الفلسفية الى العربية وأن الخلفاء والزعماء الدينين كما حماة التعليم وقد انتشر التعلم الابتدائي والعالي في البلاد التي ساد فيها الاسلام شرقاً وغرباً وعرفت مراكز للدراسة العليا في بغداد والقاهرة وقرطبة واشبيلية وبقدر عدد المكتبات العامة في مدينة غرناطة بالأندلس بسبعين مكتبة وكان فيها سبعة عشر كلية ومائتا مدرسة الابتدائية ونبغ من العرب ابن سينا الطيب والفيلسوف وكذلك ابن رشد.

أهمية البحث والحاجة إليه:

تكمن أهمية هذا البحث في الوصول إلى ما وصل إليه ابن سينا الفيلسوف والمربي والمفكر من أراء فلسفية وفكرية وعلمية ومنهجية، والأجدر بهذا البحث هو أن الباحث يريد التوصل الى تحليل عام لما وصل اليه هذا المفكر الجليل من آراء تربوية وعلمية، وما جاء به من اهتمامات على مستوى لتدريس الطلبة وعلى مستوى الاتصال بعلماء العصر.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على العالم ابن سينا وما هو فكره التربوي وما هي أساليبه المنهجية في التعليم وما هي مقاصده في تربية الجيل.. وابن سينا من علماء التراث الإسلامي العربي الذي قدم الكثير فيه فكره وعطائه في زمانه الصعب

ابن سينا عالماً ومفكراً

نشأة وحياة ابن سينا:

هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسن بن عبد الله بن الحسن، بن علي بن سينا، الحكيم المشهور، والطبيب النطاسي، والعالم النفسي، كان أبوه من أهل بَلْخَ، وانتقل إلى بخارى، وهي يومئذ حافلة بالعلماء، في زمن نوح بن منصور الساماني، من ملوك الدولة السامانية، وهي دولة فارسية نشأت بعد انقسام الدولة العباسية إلى عدة دويلات. تولى أبوه العمل بقرية خرميثين القريبة من بخارى، وفيما ولد الشيخ الرئيس ابن سينا سنة 370 هـ. واسم أمه ستارةٌ، وهي من قرية أفشنة بالقرب من خرميثن.

السيرة العلمية:

ولد ابن سينا في أسرة لها اشتغال بخدمة الدولة. وكان أبوه يحضر له المعلمين، ويستقبل في داره العلماء والفلاسفة. نتلقى ابن سينا العلوم العقلية والشرعية، وكان أبوه وأخوه من الإسماعيلية، ولهما تعلق بالفلسفة، ويقال إن البيت الذي نشأ فيه كانت تسوده تقاليد فارسية قوية. وقد نضج عقله وجسمه نضوجاً قوياً سريعاً منتجاً. فقد قرأ على عبد الله الناتلي، كتاب إيساغوجي في المنطق، وكتاب إقليدس في الهندسة وكتاب المجسطي في علم الهيئة القديمة.

وقد أظهر ابن سينا ذكاءً خارقاً؛ فقد كان يشرح لأستاذه بعض الرموز والإشكالات التي في هذه الكتب؛ ثم اشتغل ابن سينا بتحصيل العلوم الطبيعية والإلهية، وأقبل على تعلم علم الطب، فبرع فيه براعة منقطعة النظير. وكان الشيخ الرئيس يداوي المرضى لإشباع ما في نفسه من الولع الشديد بعلم الطب، ولم يتخذ الطب وسيلة إلى الكسب وجمع المال، ولما ذاع صيته أقبل عليه المشتغلون بالطب، يقرءون عليه ما دون في هذا العلم من التجارب وأنواع المعالجات. وعجيب أن سنه كانت إذ ذاك ست عشرة سنة. وإن وصوله إلى درجة طبيب في هذه السن يدل على ذكائه النادر، وذاكرته القوية، وتفوقه العظيم،

وكان ابن سينا ينفق كل وقته في البحث والقراءة والاطلاع، والتمحيص والفحص والتنقيب، وعمل التجارب.

وكان من عادته إذا أشكل عليه أمر من الأمور أن يتوضأ، ويذهب إلى المسجد؛ ليصلي ويدعو الله أن يفتح عليه؛ ليفهم ما خفي عليه من مشكلات العلم ومعضلاته.

قيل إن الأمير (نوح بن نصر الساماني) مرض، فطلب ابن سينا ليعالجه، فعالجه حتى شفي من مرضه، ثم اتصل به. وكان لنوح بن نصر مكتبة ذائعة الشهرة، فانقطع ابن سينا لقراءة ما فيها من كتب للأوائل في كل علم وفن، فأحاط بما فيها، وحصل شواردها. وحينما ناهزت سنه الثامنة عشر كان قد فرغ من تحصيل مختلف العلوم.

ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره توفي والده. ثم اضطربت أحوال الدولة السامانية، فاضطر ابن سينا إلى مغادرة بخارى، فذهب إلى الجرجان الأقصى قاعدة خوارزم، ثم انتقل إلى الري، ومنها إلى همذان، وصار وزيراً لشمس الدولة أبي طاهر الديلمي صاحب همذان وعراق العجم. غير أن عسكر شمس الدولة لم يجدوا في ابن سينا ضالتهم، فثاروا عليه، ونهبوا داره وقبضوا عليه، فنفاه شمس الدولة إرضاء لهم، ولكنه ما لبث أن أعاده غليه حين عاوده المرض. ولما مات شمس الدولة خرج ابن سينا من همذان قاصداً أصبهان، واتصل بالأمير أبي جعفر علاء الدولة، فأحسن إلى ابن سينا، وأكرمه وبقي عنده معززاً مكرماً.

وكان ابن سينا قوي المزاج، فكان ذلك مما أنهك جسده، وأضعف بدنه، وحين كان بأصبهان مرض بالقولنج، وهو مرض معوي مؤلم، يؤدي إلى احتباس الثفل والريح بالجسم، ويعسر معه خروجهما. ولما اشتدت عليه وطأة المرض حقن نفسه ثماني مرات، في يوم واحد واستشرى المرض في بدنه حين كان يتنقل مع علاء الدولة بين همذان وأصبهان.

وأخيراً وصل إلى همذان، وقد ضعفت صحته كثيراً، فأهمل التداولي، وقال عن نفسه: "إن المدبر الذي في بدني قد عجز عن تدبيره، فما بي من حاجة إلى المعالجة".

الاتصال بعلماء العصر:

اتصل ابن سينا بكثير من علماء عصره، ومنهم ابن مكسويه، وأبو الريحان البيروني، وأبو القاسم الكرماني، والطبيب أبو الفرج، وغيرهم.

وقد تعمق ابن سينا في دراسة الطب والمنطق والطبيعة والرياضة، وفاق أساتذة عصره في هذه العلوم، وتتلمذ على كتب أبي نصر الفارابي.

أسلوبه في تحصيل العلم:

وكان لابن سينا طريقة خاصة في تحصيل العلم يحدثنا عنها بقوله: "لازمت العلم، وكنت كلما أحار في مسألة ترددت إلى الجامع، وصليت، وابتهلت إلى مبدع الكل، حتى يفتح لي المغلق منه، وييسر المتعسر، وكنت أشتغل ليلاً في داري بالكتابة والقراءة، فإن غلبني النوم، أو شعرت بشعف (مرض) عدلت إلى شرب قدح من الشراب، ريثما تعود إلي قوتي، ثم أرجع إلى القراءة، فإن غلبني النوم حلمت بالمسائل التي كنت أعالج حلها، حتى إن كان كثيراً منها اتضح لي بالمنام".

وإننا نأخذ على ابن سينا ميله إلى النساء والشراب، وما كنا ننتظر هذا من فيلسوف عبقري مثله.

آراؤه التربوية:

لم يكتف ابن سينا في التبحر في الطب والفلسفة واللغة، بل أسهم بنصيب موفور في وضع قواعد التربية الإسلامية، ونظرياتها، وله في هذا السبيل آراء قيمة لا تقل في طرافها وجدتها، وقوة أثرها، من الناحية العلمية – عن آراء أعظم فلاسفة التربية وعلمائها في القرن العشرين. وسنرى أنه في علم النفس التحليلي، وعلاج الأمراض النفسية والعصبية لا يقل عن أكبر العلماء من الأطباء في عصرنا هذا.

التربية الإسلامية عند ابن سينا:

لابن سينا رأي مشهور في تربية الأولاد، يدور حول المنهج الأولي للتربية الإسلامية، فيقول:

"ينبغي البدء بتعلم القرآن بمجرد تهيؤ الطفل للتلقين جسمياً وعقليا؛ وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء، ويلقّن معالم الدين، ثم يُروى الصبي الشعر، مبتدئاً بالرجز ثم بالقصيدة، لأن رواية الرجز وحفظه أيسر؛ إذ أن بيوته أقصر، ووزنه أخف، على أن يختار من الشعر ما قيل في فضل الأدب، ومدح العلم، وذم الجهل، وما حث منه على بر الوالدين واصطناع المعروف، وقرى الضيف، فإذا فرغ الصبي من حفظ القرآن، وألم بأصول اللغة نُظر عند ذلك في توجيهه إلى ما يلائم طبيعته واستعداده.

ومعنى هذا أن يعلم الطفل القرآن في البدء بطريقة التلقين، في الوقت الذي ينمو جسمه، ويستعد عقلياً لتعلم القرآن بالتلقين، وقد كانت هذه الطريقة متبعة قديماً في الكتاتيب، بحيث يبدأ سيدنا أو العريف بتلاوة سورة صغيرة، آية آية، فيرددها الأطفال وراءه، مرتين أو ثلاثاً أو اكثر حتى يحفظوها بالتلقين كما سمعوها، قبل أن يعرفوا القراءة والكتابة وفي الوقت نفسه يتعلم الطفل في دروس أخرى حروف الهجاء قراءة وكتابة، ويتعلم التهجي والمطالعة بالطريقة الجزئية، وهي: طريقة يتعلم بها المبتدئون أسماء الحروف، ثم حركتها كالفتحة، والكسرة والضمة، والفتحتين والفتحتين، والكسرتين، والضمتين، ومن الحروف تركب الكلمات تكون، ومن الكلمات تتكون الجمل.

وفي الوقت الذي يحفظ فيه بعض السور القصيرة بطريقة التلقين، يلقن أيضاً معالم الدين ويحكى له بعض القصص الدينية، كقصص الأنبياء، ثم يُروى الصبي الشعر أي يحمل على روايته أي حفظه عن ظهر قلب بطريق السماع والتلقين والرواية، حتى يقال عنه: إنه راوٍ للشعر.

ولصغر سنه، ينصح ابن سينا بأن يبتدئ الطفل بحفظ الرجز – وهو نوع من الشعر –؛ لأن حفظه هذا الضرب من الشعر أسهل، وروايته أيسر، وأبياته أقصر، ووزنه أخف. ثم يتدرج معه من هذا الشعر السهل القصير الخفيف إلى القصيدة من الشعر.

والقصيدة: ثلاثة أبيات فصاعداً؛ أو ستة عشر بيتاً فصاعدا.

فإبن سينا يعطي الشعر جانباً من عنايته؛ لأنه يتخذه وسيلة من وسائل التربية الخلقية ولكنه يقرر ألا يدرس منه إلا ما قيل في الأدب والعلم والأخلاق.

وباتباع هذه الطريقة مع الصبي في الحفظ والاستظهار قد راعى ابن سينا أحدث المبادئ في التربية، وهي البدء بالسهل اليسير الخفيف، ثم الانتقال من السهل إلى الصعب، ومراعاة المستوى العقلي للطفل، وقوة إدراكه وهذا يدل – ولا ريب – على أن ابن سينا كان مربياً بطبيعته – خلق ليكون مربياً – عالماً بنفسية الأطفال، ومدى إدراكهم وفهمهم.

وقد تعجب حينما تسمع أن ابن سينا يرى حسن اختيار الشعر الذي يُطالبُ الطفل بحفظه؛ لأن حسن الاختيار يدل على حسن الذوق. فلا يروىَّ الطفل أي شعر، بل يُرويّ شعراً خلقياً يذكر فيه فضل الأدب، ويمدح العلم، ويذم الجهل، وبحث على بر الوالدين، وفعل الخير، واصطناع المعروف، وإكرام الضيف؛ حتى ثبت في نفسه الأخلاق الكريمة من الطفولة، والمثل الإسلامية العالمية العالية من الصغر.

وهذا هو المنهج الأولي للتربية الإسلامية في نظر ابن سينا، فإذا انتهى الصبي من حفظ القرآن، وألم بمبادئ اللغة العربية، وعرف أصولها بطريقة موجزة، نظر عند ذلك في توجيهه إلى ما يلائم طبيعته واستعداده. وسنشرح هذه العبارة في رأيه في التربية لكسب العيش.

ابن سينا وكسب العيش في مجال التربية:

قال ابن سينا "إذا فرغ الصبي من تعليم (تعلم) القرآن، وحفظ أصول اللغة، نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته، فيوجه لطريقه، بعد أن يعلم مدبر (مربي) الصبي أن ليس كل صناعة يرومها الصبي مكة له مواتية، لكن ما شاكل طبعه وناسبه.

فإن أراد الكتابة أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب، ومناقلات الناس، ومحاوراتهم وما أشبه. وطورح الحساب، ودُخل به الديوان، وعني بخطه. وإن أريد أخرى أخذ به فيها".

يريد ابن سينا بذلك أن يثقف الصبي في المرحلة الأولى من التعليم بحيث يتعلم القرآن ونرى أن يقرأه ويفهم المراد مما يحفظ، وفي الوقت نفسه يدرس أصول اللغة العربية، من نحو وصرف وإملاء وخط، ويتمرن على التعبير الشفوي، والتعبير الكتابي؛ كي يستطيع أن يقرأ قراءة صحيحة، ويتكلم بلغة صحيحة، ويكتب لغة خالية من الخطأ .

فإذا وصل إلى هذه الدرجة في الدراسة الثقافية الدينية اللغوية نظر في أمر المتعلم وميوله ورغباته التي يميل إليها، فإن كانت ميوله متجهة نحو الناحية العلمية وُجه إلى الصناعة التي يريدها، والفن الذي يرغبه، وإن كانت ميوله الطبيعية أدبية يُسرت له الوسائل ليكون أديباً، وإذا كان يحب العلوم كالطب والصيدلة والكيمياء والرياضة... أعطي الفرصة لتكملة نفسه، ودراسة العلم الذي يود التخصص به.

ونرى في هذه الكلمة بعد النظر، وسعة الأفق لدى ابن سينا في القرن الخامس الهجري أي منذ تسعمائة سنة تقريباً. وانه يقصد بتلك النصيحة الغالية أن نفكر فينا يناسب طبع المتعلم، وما يلائمه وما يميل إليه، كي ينبغ في دراسته، ونضع كل شاب في المكان الذي يصلح له، ونوجهه الوجهة الصائبة، وهذا ما ننادي به في التربية الحديثة في القرن العشرين. فمستقبل الشبان يحتاج إلى تفكير وتدبير عند اختيار الدراسة المهنية لهم.

وإذا كانت رغبة الشاب متجهة نحو صناعة من الصناعات، وُجه إلى الصناعة التي يميل إليها ويرغب فيها، حتى يستطيع كسب عيشه ورزقه في المستقبل، وساعده المدبر، وبعبارة أخرى، المربي – في إعداده إعداداً مهنياً صناعياً. ولتحقيق تلك الغاية نرى أن تختار المواد الدراسية التي لها اتصال كبير بالحياة العملية، فتعلم الحياكة أو النجارة أو الحدادة أنفع في نظر الصناع من الآباء، من تعلم المواد التي لا صلة لها بالحياة العملية.

فهم لا يفكرون في العلم لذات العلم، ولكنهم يفكرون في تعلم المواد الضرورية كالقراءة والكتابة والخط، والحساب، وفي التعليم الصناعي الذي يمكن الأبناء من كسب عيشهم في حياتهم، وإننا لا نستطيع أن ننكر أن في رأيهم شيئاً من الصدق، كما لا نستطيع أن ننكر أن كسب العيش بتعلم حرفة من الحرف، أو مهنة من المهن أمر ضروري جداً يجب ألا يهمل في مشروعات التعليم. ولكننا ننكر أن يكون هذا الغرض أسمى أغراض التربية.

ولكي نصل إلى كثير من النابهين والنبغاء والعبقريين يجب أن نربي كل شاب تربية تتفق مع مزاجه ومواهبه، فتؤسس المعاهد والكليات على مبدأ الحرية الشخصية، بحيث تفتح المعاهد والكليات لمن يشاء من الراغبين فيها، ما دامت دراستهم تؤهلهم لها، وميولهم تميل إليها، حتى يكون الاختيار مبنياً على ميل حقيقي، ورغبة طبيعية، ونمنح الشبان الفرصة في الانتفاع بمواهبهم واستعداداتهم الفطرية. هذا هو رأينا في التعليم العالي، والدراسة الجامعية.

يقول ابن سينا: "فإن أراد الكتابة أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب، ومناقلات الناس، ومحاوراتهم، وما أشبه. وطورح الحساب، ودُخل في الديوان وعني بخطه، وإن أريد أخرى أخذ به فيها"

ومعنى هذا: إذا أراد الصبي الكتابة الأدبية، ليكون أديباً، وكاتباً فعليه أن يضيف إلى دراسة اللغة وقواعدها، دراسة رسائل الأدباء والعلماء، وخطب الخطباء، ومناقلات الناس أي محادثاتهم، ومحاورات المتحاورين، ومناظرات المتناظرين، ومقامات المتفننين ومطارحة المطارحين، ومناقشة المناقشين، واعتراضات المعترضين، وأجوبة الاعتراضات.

ودُخل به الديوان وعني بإجادة الخط، لأن الخط قبل اختراع المطبعة والطباعة، كان وسيلة حسنة للرزق فقد كان الخطاط يشتغل بنسخ الكتب التي يطلب منه نسخها للولاة والأمراء والخلفاء، وكان الكتاب الثمين يشترى بمثل وزنه ذهباً، ولهذا كان هناك إقبال كبير من المتعلمين الفقراء على تعلم الخط، وإجادته، للحصول على عيشهم في الحياة.

قال ابن سينا: "وإن أُريد أخرى أخذ به فيها" أي إذا أراد فنَّاً غير الكتابة، سمح له بتعلم ذلك الفن ودراسته حتى يتقنه، وفق رغبته الشخصية، وميله الفطري، وهو بهذا يقول بمبدأ التخصص الذي نقول به بعد الدراسة الثقافية الروحية في بدء حياته.

ابن سينا وخصائص شخصية المعلم:

قال ابن سينا: "ينبغي أن يكون مؤدي الصبي عاقلاً، ذا دين، بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان، وقوراً رزيناً، غير كز ولا جامد، حلو لبيباً، ذا مروءة ونظافة ونزاهة".

وإن نظرة واحدة إلى هذه الكلمة توضح لنا ما يتطلبه ابن سينا من الصفات التي يجب أن تتحقق في المدرس، الذي يقوم بتربية الأطفال، فهو يشترط أن يكون المدرس عاقلاً حكيماً، حسن التصرف، سديد التفكير، صائب الرأي، ليس بطائش شديد الانفعال سريع التأثر، لأن مثل هذا لا يصلح لمعاملة الأطفال.

وأن يكون متديناً، صالحاً تقياً، يعرف الله ويؤمن به وبرسوله، يخاف الله في السر والعلانية، ويحاسب نفسه على كل دقيقة يضيعها من أوقات التلاميذ. فلا يجوز أن يكون المدرس ملحداً أو كافراً، لا يعتقد في دين؛ لا، المدرس المتدين ذو ذمة وضمير، يمكن الاطمئنان إليه، والثقة به، وله ضمير يؤنبه. أما الذي لا دين له فلا ضمير له، ولا يمكن الاعتماد عليه في تربية النشء، لأن المدرس يجب أن يكون خير قدوة لتلاميذه، لأنهم يحاكونه ويقلدونه من تلقاء أنفسهم في أقواله وأفعاله، ومبادئه، وسلوكه وتصرفاته. لهذا يجب أن يكون مثالياً ذا دين، وخلق كريم.

يتطلب ابن سينا أن يكون مؤدي الصبي بصيراً برياضة الأطفال؛ لأن تربيتهم تحتاج إلى خبرة ودراسة، وإعداد خاص، وأخلاق طاهرة، وتحتاج في نظرنا إلى أن يدرس التربية وتاريخها، وطرقها، ونفسية الأطفال، حتى ينتفع بتجارب غيره من المربين، ويعمل لتنفيذ ما يعرفه من نظريات التربية وعلم النفس، والاتجاهات الحديثة في التربية،

فدراسة التربية وعلم النفس تحفظه من الضلال في الطريق، وتساعده كثيراً في النجاح في العمل، وتسهل له الصعاب التي تواجهه في التربية والتهذيب.

وينادي ابن سينا بأن يكون المدرس حاذقاً بتخريج الصبيان، ماهراً في تربيتهم، حكيما في معاملتهم، خبيراً بميولهم، أميناً على أرواحهم الغالية. فليست مهنة تربية الأطفال بسهلة، بل هي مهنة تحتاج إلى معرفة بعلوم التربية، وحب الأطفال، وميل لمهنة التعليم، وأمانة في العلم، وإخلاص في العمل، ودراسة لعاداتهم وطبائعهم، كما تحتاج إلى خبرة وكفاية، ومقدرة ويقظة، وذكاء وحضور بديهة، وإلى التفكير في كل طفل، ووضعه في الموضع الذي يستحقه، وإرشاده حيث يحسن الإرشاد، وعلاجه حيث تظهر أعراض المرض العلمي أو الخلقي أو الجسمي أو الاجتماعي. وما هذا كله بالأمر الهين.

وقد كان كثير من علماء التربية يعتقدون أن "المعلمين مطبوعون لا مصنوعون". وفي هذا القول كثير من الصحة، ولكن تجارب القرن العشرين برهنت على أن هذا لا يكفي، وأن العلم بالمادة شيء، وتدريسها فن يحتاج إلى خبرة وحذق ومهارة، ودراسة للتربية وأغراضها، وطرقها العامة والخاصة.

ونعتقد أن التربية أو تخريج الصبيان – كما يقول ابن سينا – من أهم الأمور، وأصحب المهن التي تحتاج إلى مقدرة ومعرفة بالأطفال. ومما يخالف العقل والمنطق أن يقوم بتربية الأطفال وتعليمهم مدرسون ومدرسات لا يعرفون شيئاً عن قواعد التربية ونظرياتها، وطرق تدريسها المواد التي يقومون بتدريسها.

ونعتقد أن الوسيلة الواحدة لإصلاح التعليم وإصلاح المدارس هي إعداد المعلمين والمعلمات إعداداً كاملاً لمهنتهم. وإننا لا نتردد في أن نقول: إن المدرسين لا يستطيعون أن ينجحوا في تدريسهم إلا إذا درسوا التربية وعلومها وأغراضها وطرقها ووسائلها، فناً نم الفنون، وعلماً من العلوم، ودرسوا ما قاله وما جربه علماء التربية وفلاسفتها، وطرقها الحديقة، واتجاهاتها الجديد'.

وينصح ابن سينا بأن يكون المدرس وقوراً رزيناً، غير كزٍّ ولا جامد، والكز هو العابس المنقبض، حتى يحترمه تلاميذه، وينتبهوا إلى درسه، ولا يعبثوا بالنظام، ولا يهربوا من المدرسة، ولا ينفروا من التعليم.

ومعنى الوقار والرزانة أن يحسن التدبير والإدارة، ويحافظ على النظام، ويكون حكيماً فيما يقول وما يفعل، يلين في غير ضعف، ويشتد في غير عنف، يقوم بالواجب في الوقت الملائم، وبالطريقة الملائمة، ويقف دائماً مواقف مشرفة، ولا يكون مدعاة للسخرية والضحك، والاستهزاء به، والعبث بالدراسة، ويكون ذا كرامة يربأ بنفسه عن الدنيا، ويستنكف من القبيح، حتى يكون مرفوع الرأس، وموضع التبجيل والاحترام.

ويرى ابن سينا أن يكون المدرس (حلوا لبيباً) أي حلو الخلق، نبيلاً في تصرفاته، قدوة حسنة لتلاميذه، قادراً على ضبط شعوره ونفسه، لبيباً ذكياً، حاضر البديهة، قوي الملاحظة، راجح العقل، رحب الصدر، لا يتأثر لأتفه الأسباب، ولا يغضب لأقل شيء، قادراً على التعبير والتوضيح والتفسير؛ حتى يستطيع أن يصل إلى قلوب تلاميذه، ويؤثر في نفوسهم.

"وأن يكون ذا مروءة ونظافة ونزاهة"، بحيث يكون مخلصاً، محباً للأطفال، بطبيعته، يعطف عليهم، ويقوي ضعيفهم، ويشجع قويهم، ويكون أباً شفيقاً لهم، ويعدل بينهم، ويعاملهم جميعاً معاملة واحدة، ويحسن الصلة بهم، فلا يفرق بين ابن الغني وابن الفقير منهم.

ويكون نظيف الوجه، نظيف الملابس، حسن المظهر، خالياً من الأمراض والعاهات الجسمية.

ويكون نزيهاً، مخلصاً في عمله، معداً لدروسه، شاعراً بالواجب عليه نحو تلاميذه ونحو المجتمع، فيجب ألا يقف موقفاً يرى منه الأطفال الميل على أحدهم دون الآخر، لغرض شخصي أو نفسي؛ حتى يمتلكهم جميعاً، وألا يضع نفسه موضع نقد؛ فالطفل خير ناقد، ينظر بعين الطبيعة والنزاعة والعدالة، نظرة لم تلوثها الأغراض.

وتتطلب النزاهة أن يفكر المدرس في الطفل قبل أي شيء آخر، ويعمل لإعداده للحياة التي تنتظره، وأن يخلص لتلاميذه، ويحافظ على أوقاتهم، ويفكر دائماً في النهوض بهم، ويشعر بأنهم ذخيرة الشعب في المستقبل، ويتصل بالحياة والعلم؛ كي يمكنه أن يزودهم بما يشاءون من ثقافة وأدب، وعلم واختراع.

التربية الخلقية عند ابن سينا:

إن ابن سينا يعنى بالتربية الخلقية؛ فهو حريص كل الحرص على أن ينشأ الطفل نشأة دينية صحيحة، ويرى أن التربية الدينية كفيلة بتحقيق هذه الغاية، ثم يضيف إلى ذلك

شيئاً آخر؛ وهو ألا يعلم الطفل من الشعر إلا ما تحقق فيه جانب الخير، والحث على مكارم الأخلاق.

ولسنا في حاجة إلى الإسهاب في بيان أثر التربية الدينية في سلوك الإنسان وأخلاقه.

فقد أجمع العلماء على أن الدين أقوى دعامة في النهوض بالأخلاق بين الأفراد والمجتمعات. وإننا نعلم أن نزعة التدين نزعة فطرية في الإنسان، والشعور الديني استعداد فطري في طبيعته وإن الإنسان وحده هو الذي انفرد بهذه النزعة الدينية دون غيره من المخلوفات.

وإننا نعتقد إن من السهل أن نتتفع بهذه النزعة، ونعمل على أن نكون منه رجلاً متمسكاً بالدين والأخلاق. وفي الدين الإسلامي كثير من القصص الخلقية، قصص عظماء الإسلام، والمثل العليا في الأخلاق المحمدية التي يستطيع التلميذ أن يحتذيها ويقتدي بها.

وإن التربية الخلقية في نظرنا تعد الغرض الأسمى من التربية، والغرض من التربية الخلقية تكوين رجال كرمي الأخلاق، أقوياء العزيمة، مهذبين في أقوالهم وأفعالهم، نبلاء في ترصفاتهم وخلقهم. دينهم الحكمة والفضيلة، والإخلاص والطهارة، والأدب والكمال.

فروح التربية والحياة، وروح البيت والمدرسة، وروح المجتمع ينبغي أن تكون التربية الخلقية، ولا نبالغ إذا قلنا إن التربية هي الوصول إلى المثل الأسمى من الخلق الكامل في العادات والأحوال والآداب في هذه الحياة.

وقد أجمع علماء التربية وفلاسفتها في القرن العشرين على أن الغرض الخلقي يجب أن يرمي إليه المربي هو الغرض الحقيقي من التربية التي يصح أن نطلق عليها ذلك الاسم.

وفي رأينا أنه ليس معنى هذا أن نقلل العناية بالتربية الجسمية أو العقلية أو الاجتماعية. أو العملية أو العلمية، بل معناه أن نعنى بالتربية الخلقية ونكون الخلق الكامل، كما نعنى بكل نوع من أنواع التربية؛ فالطفل في حاجة إلى قوة في الجسم، وقوة في العقل، وقوة في الخلق، واتصال بالمجتمع الذي ينتسب غليه، ومهارة في العمل، ورغبة في العلم والبحث، بحيث يعنى بجسمه، ويفكر بنفسه، ويبحث وراء الحقيقة، ويقول الحق،

ويدافع عن الحق، ويخلص في عمله ويجيده، ويراقب الله وضميره، ويحب العلم لذات العلم، ويضحي بمصلحته في سبيل مصلحة المجتمع، ويقوم بما يجب عليه نحو الوطن.

والغرض من التربية الخلقية تكوين رجال مهذبين، وسيدات مهذبات، ذوي إرادة قوية، يتحلون بالفضيلة حباً للفضيلة، ويتجنبون الرذيلة لأنها رذيلة، ويفعلون الخير ابتغاء مرضاة الله، ولكي نصل إلى هذا الغرض الخلقي يجب أن يكون البيت مهذباً والمدرسة كاملة، والمجتمع كاملاً.

فابن سينا على حق في حرصه على المناداة بالتربية الخلقية، فالأخلاق هي كل شيء، والحياة هي الأخلاق، فالتربية الحديثة اليوم توجب على المدرس أن يذكر دائماً أننا لسنا في حاجة إلى العلم فحسب، ولكننا في حاجة إلى كثير من الأخلاق الفاضلة، كما يذكر أن تكوين العادات الخلقية الحسنة في التلاميذ، من الاعتماد على النفس، والمثابرة على العمل، ومراعاة العدالة في كل أمر، والتمرن على البر والتقوى، والصدق في القول، والوفاء بالوعد والإخلاص في العمل، وأداء الواجب، ومساعدة الضعيف والمحافظة على الوقت، أكثر فائدة للطفل من حشو ذهنه بمعلومات نظرية، ربما لا يحتاج إليها في الحياة العملية. وكما أن الوقاية خير من العلاج في عالم الطب فالمحافظة على الأخلاق خير من إصلاحها في عالم الأخلاق.

ومما يدل على عنايته بالتربية الخلقية رأيه في اختيار الصبية المرضية أخلاقهم فيما يلي:

كيفية اختيار الصبية ذوي الأخلاق الحسنة:

يرى ابن سينا: "أن يكون الصبي في مكتبة مع صبية حسنة آدابهم، مرضية عاداتهم؛ لأن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آنس".

فابن سينا يرى أثر القدوة الحسنة، والبيئة الطيبة، والعادات المرضية، وأثر التقليد، في تربية الطفل تربية خلقية؛ لأن الطفل يحاكي غيره من الصبيان في أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم؛ لأن نزعة المحاكاة نزعة فطرية في الطفل، فهو يقلد غيره من تلقاء نفسه، فيماه يسمع، وما يرى، وما يقع تحت حسه، ولهذا يجب أن نتخير البيئة التي يختلط بها الابن، ونسأل عن أصدقائه الذين يتصل بهم، ونحثه على حسن اختيارهم، وعدم الاختلاط بأي طفل شرس أو وقح، أو سيء الخلق، أو منحرف، أو شاذ في تصرفاته؛ لأن " الصبي عن

الصبي ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آنس" فهو سريع المحاكاة شديد التأثر بزملائه وأقرانه وإخوانه الذين يتعلمون معه في المدرسة، أو يلعبون معه في الملعب، أو يتصلون به في النادي والشارع والمجتمع.

فبالقدوة الحسنة يمكننا أن نبث في الأبناء والبنات أحسن العادات، وأكرم الأخلاق ونغرس في نفوسهم الفضيلة، وننفرهم من الرذيلة.

بالقدوة الحسنة نستطيع أن نعودهم الصلاة والصوم من الصغر، ونعودهم النظافة والنظام، والإحسان إلى الفقير، وآداب الإسلام، وأخلاقه من الطفولة؛ لأن الطفولة أهم مرحلة في الحياة؛ فهي أساس التربية. وكما يكون الأساس يكون البناء. وكما يكون الطفل يكون الرجل، والتعلم في الصغر كالنقش على الحجر، والتعلم في الكبر كالنقش على الماء. هذا هو رأينا في تربية الطفل.

وابن سينا يستخدم الميل الفطري في الطفل إلى الاجتماع بغيره من الأطفال، واتخاذه أداة فعالة من أدوات التربية الخلقية. ولكننه كما قلنا لا يطلق العنان للطفل ليجتمع بأي نوع من أنواع الأطفال بل يشترط أن يكون اجتماعه بأطفال طيبين.

وله غايات أخرى من اجتماع الطفل بمثل هؤلاء الأطفال، فهو لا بد أن يرى فيهم ما يثير حماسته، فيندفع إلى اللحاق بهم؛ ليبلغ شأوهم في الفهم وغيره.

المحادثة عند ابن سينا:

"والمحادثة تفيد انشراح العقل، وتحل منعقد الفهم؛ لأن كل واحد من أولئك إنما يتحدث بأعذب ما رأى، وأغرب ما سمع، فتكون غرابة الحديث سبباً للتعجب منه، والتعجب منه سبباً لحفظه، وداعياً إلى التحدث، ثم إنهم يترافعون، ويتعارضون، ويتقارضون الحقوق. وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة، والمساجلة والمحاكاة، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم، وتحريك لهمسهم، وتمرين لعاداتهم.

ابن سينا والعقاب:

وإن ابن سينا لا ينسى وهو يقرر مبادئ التربية الخلقية أن يحدثنا عن رأيه في العقاب. وبذلك يضع لنا صورة كاملة عن تربية الوليد، وما ينبغي أن يؤخذ به فيقول:

"إنه من الضروري البدء بتهذيب الطفل، وتعويده ممدوح الخصال منذ الفطام، قبل أن ترسخ فيه العادات المذمومة، التي يصعب إزالتها، إذا ما تمكنت من نفس الطفل، أما

إذا اقتضت الضرورة الالتجاء إلى العقاب، (فإنه) ينبغي مراعاة منتهى الحيطة والحذر، فلا يؤخذ الوليد أولاً بالعنف، وإنما بالتلطف، ثم تمزج الرغبة بالرهبة، وتارة يستخدم العبوس، أو ما يستدعيه التأنيب، وتارة يكون المديح والتشجيع أجدى من التأنيب، وذلك وفق كل حالة خاصة، ولكن إذا أصبح من الضروري الالتجاء إلى الضرب، ينبغي ألا يتردد المربي على أن تكون الضربات الأولى موجعة، فإن اصبي يعد الضربات كلها هينة، وينظر إلى العقاب نظرة استخفاف، ولكن الالتجاء إلى الضرب لا يكون إلا بعد التهديد والوعيد، وتوسط الشفعاء، لإحداث الأثر المطلوب في نفس الطفل.

وإن من يقرأ هذه القطعة الصغيرة في تربية الطفل، وتهذيبه وتعويده الخصال الحميدة والعادات الحسنة في المرحلة المبكرة من حياته الأولى منذ الفطام، قبل أن ترسخ فيه العادات القبيحة، التي يصعب التخلص منها، إذا ما تمكنت من نفس الطفل – يجد أنه سبق فلاسفة التربية الحديثة في القرن العشرين بآرائه الثمينة – بمئات السنين، سبق (روسو وفروبل وبستالوتري وسبنسر، ونَنْ، وديوي وأدْلر) في المناداة بالعناية بتربية الطفل تربية حقة منذ السنوات الأولى من طفولته.

إن التربية الحديثة تضع الطفل في المكان الأول من الأهمية في التربية. والطفل قابل للتربية والتهذيب، إذا وجد التربية الحقة في الطفولة الأولى، ووجد المربي الماهر، والمربية الحكيمة في البيت والمدرسة. وهو محتاج إلى من يفهمه ، ويفهم طبائعه وميوله، محتاج إلى من يتعهد إرادته وقلبه، ويحفظ روحه وعقله، بالحكمة لا بالشدة، ويربي غرائزه ونزعاته، وإلى من يعطيه الفرصة والحرية في أن يفكر ويتنفس، وينمو ويعيش، ويحيا حياة هانئة.

وإن من يتدبر رأي ابن سينا في العقوبة يجد أنه منطقي في معاملته، حكيم في عقوبته لا يعامل من يستحقون العقاب من الأطفال معاملة واحدة؛ فهو يعاقب كل مخطئ العقوبة التي تناسبه. ويرى مراعاة الحيطة والحذر عند الحكم على الطفل، فإذا أخطأ للمرة الأولى استعمل معه الرفق واللطف، لا القسوة والعنف.

ويجب أن يذكر المدرس أن هناك فرقاً بين طفل وآخر في طبعه ومزاجه، وميوله وأخلاقه، ويعرف تلاميذه معرفة حقة، ليعامل كلاً منهم المعاملة التي تليق به، فمنهم من تكفيه الكلمة أو الإشارة، ومن لا يؤثر فيه العقاب البدني، ومن لا يتأثر إلا بالعقاب الأدبي.

ومنهم من يحزن كل الحزن لطرده يوماً من المدرسة، ومن يسر كل السرور لغيابه عنها ومن يتألم إذا عوقب بالحجز آخر اليوم المدرسي ،ومن يجد مسرة في هذا الحجز. هذا يحز الألم في نفسه إذا قطعت درجة من سلوكه ، وذلك لا يتأثر ولو قطعت منه عشر درجات .

هل أن تلميذا ذكيا شديد الإحساس ، سريع التأثير قام بعمل وأخطأ فيه ، فهل يحسن أن يعاقب العقاب الذي يعاقب به تلميذ عرف بالبلادة والكسل ، وسوء الخلق ، وقلة التأثير، أو يجب أن يعامل كل منهما بما يلائمه ، ويعاقب العقاب الذي يصلح له ؟ الحق أن كل تلميذ يعد قضية مستقلة قائمة بذاتها ، يجب أن تنظر نظرا خاصا ، إذا أن ما يلائم هذا الطفل من العقاب ربما لا يلائم الآخر ، والذي يؤثر في هذا قد يكون عديم الأثر في ذاك .

ومن الخطأ ان نستمر في تلك العادة ؛ عادة عاملة الأطفال جميعا معاملة واحدة في العقاب ، من غير نظر إلى ما بينهم من فروق في الأخلاق ، والطباع والعادات ، والأمزجة والبواعث . فمن الخطأ أن نعاقبهم عقابا واحدا ، من غير تفرقة بين تلميذ تكفيه كلمة ، وأخر لا يقرع إلا بالعصا

فيجب ان نفكر في كل تلميذ ، ونعاقبه بما يناسبه . وإذا كان الغرض من العقوبة الإصلاح فلا بد من استعمال الحكمة فيها ، بوزن الذنب ، ومعرفة الحافز عليه ، يعد أن ندرس غرائز الطفل وميوله وأخلاقه ، فنفهم الجاهل بخطئه هذا الخطأ ؛ حتى يشعر بنتيجة فعله . وإذا شعر المخطئ بذنبه . وكان واثقا بعطف المدرس نحوه ، مد يده طالبا تنفيذ العقوبة ، شاعرا بالعدالة ، ملتمسا الرحمة ، مصمما على التوبة وعدم العودة إلى ما فعل . وبذلك نصلح الجميع ، ونصل إلى الغرض الحقيقي من العقاب، وهو إصلاح المذنب ، وتطهيره من ميله إلى الشر، وتوجيه إلى الطريق المستقيم ، وبذلك نبلغ الغاية التي نقصدها. هذا هو رأينا في العقوبة ، وهذا ما يتطلبه علماء التربية اليوم .

وهذا ما قصده ابن سينا في قوله :"تمزج الرغبة بالرهبة " بأن نأخذ الطفل على انفراد، ونفهمه خطأه حتى يشعر بالخطأ فيندم ويعتذر ، فإذا لم يصلح معه الذوق والترغيب استعمل معه الرهبة ووسائل التخويف . وقد يكفي لإصلاح المخطئ أن تعبس في وجهه ، أو تؤنبه وتوبخه . وتارة يكون المدح والتشجيع أجدى من التأنيب والتوبيخ .

فكل تلميذ يعد قضية مستقلة كما قلنا تحتاج إلى بحث خاص ، وعلاج نافع . وتارة يكون المذنب مستهترا غير مكترث لأي عقوبة او توضيح أو تأنيب . فهنا يجب _في رأى ابن سينا _ الالتجاء إلى الضرب، والعقوبة البدنية، ت"على أن تكون الضربات الأولى موجعة" مؤلمة، حتى لا يظن أن الضربات سهلة هينة، ولا ينظر إلى العقوبة نظرة استخفاف. ولكي يكون لهذه العقوبة أثرها الفعال في نفس الطفل يقول ابن سينا: ولكن الالتجاء إلى الضرب لا يكون إلا بعد التهديد، وتوسط الشفعاء". فإذا لم يصلحه التهديد والتخويف والوعيد وتوسط الشفعاء عوقب عقوبة بدنية موجعة في البدء، حتى يتعظ، ويرتدع غيره بدنية موجعة في البدء، حتى يتعظ، ويرتدع غيره.

ونرى ألا يضرب الطفل على رأسه، أو رقبته، وأن نبتعد عن عينيه وأذنيه ووجهه، حتى لا يصاب بأي عاهة من العاهات.

ابن سينا والتحليل النفسي:

يذهب علماء النفس إلى أن الغرض من التحليل النفسي هو الوصول إلى ما يتكون في العقل الباطن – أي اللاشعور – من عقد أو مشكلات، ثم العمل على إخراج هذه العقد والمشكلات إلى العقل الظاهر أي الشعور. والحكمة في ذلك تخفيف الضغط على النفس، وبذلك يتخلص المريض من مرضه العقلي والعصبي.

وقد استخدم التحليل النفسي في هذا العصر في الأغراض الطبية، وعلاج الأمراض النفسية. ويذهب (فرويد) إلى أن العقل الباطن يتكون من مجموعة من الرغبات الشخصية المكبوتة المودعة في أعماق النفس، منذ الطفولة، ومن ذكريات ماضية أرغمت على الانتقال من الناحية الشعورية إلى الناحية اللاشعورية، أي من العقل الظاهر، وهو الشعور إلى العقل الباطن، وهو اللاشعور، فلم تجد مأوى إلا حظيرة العقل الباطن.

والسبب في ذلك أن هذه الرغبات المكبوتة، وتلك الذكريات المكتومة لا تلائم الحياة الاجتماعية، ولا تناسب آداب المجتمع، ولم يكن التحليل النفسي على هذا الوضع غريباً على ابن سينا، فقد كان الشيخ الرئيس طبيباً نفسياً من الطراز الأول، اشتهر في عصره بمعالجة المرضى بطريقة التحليل النفسي.

ومما يروى عنه في هذا الصدد، أن رجلاً أصيب (بالمناخوليا)، وقد استب به المرض إلى درجة أنه أصبح يعتقد أنه صار بقوة، وقد امتنع عن الطعام والشراب مع بني

الإنسان، ومن أجل ذلك أخذ الرجل يقلد الأبقار، فيخور مثلها، ويذهب إلى حظائرها، ويتناول الأكل منها. واستمر الرجل على هذا النحو زمناً، حتى ضعفت قواه وهزل جسمه وشحب لونه.

فعرضه ذووه على الأطباء، ولكنهم عجزوا عن علاجه. وكان ابن سينا في ذلك الوقت قد طار صيته في الآفاق، وعرف بتطبيب مرضى العقول والأعصاب. فلما عرض عليه الرجل وفحص عن حاله، قال له: ما بالك أيها الرجل؟ وما الذي حل بك؟.

فقال المريض: ليس بي شيء، إلا أنني أصبحت بقرة تخور، آكل ما تأكل، وأفعل ما تفعل.

فقال ابن سينا: إذا كنت حقاً كذلك، وأنت بقرة بالفعل، فإني سأذبحك.

فقال المريض: افعل ما تشاء.

فأمر ابن سينا بتقييد المريض بحبل متين، وألقاه على الأرض، وأمر بإحضار سكين حادة، ثم تقدم إليه ابن سينا، وأراد أن يهوي بالسكين على رقبته، ولكنه عندما قرب السكين من نحره، قال: ما بال هذه البقرة هزيلة، إنها لا تصلح للذبح.

فقال المريض: لا إنها تصلح للذبح فاذبح.

فقال ابن سينا: كلا لن أذبحها حتى تمتلئ شحماً ولحما.

فقال المريض: وما ذا أفعل حتى أصير ممتلئ الشحم واللحم؟

قال ابن سينا: تأكل كما يأكل الناس، وتشرب كما يشربون.

فقال المريض: أو تذبحني بعد ذلك؟

قال ابن سينا: نعم.

ثم أخذ الرجل المريض على نفسه عهداً وميثاقاً ليفعلن ذلك، وأخذ يأكل ويشرب كما يفعل الناس. فعادت إليه صحته، وقوي جسمه، وبذلك ارتد إليه عقله، وزال عنه المرض، وشُفي تماماً؛ لأن ما يؤثر في الجسم يؤثر في العقل، والعقل السليم في الجسم السليم، كما أثبت علماء النفس.

ثم زار ابن سينا هذا المريض بعض شفائه، فلما رآه سليم الجسم والعقل، قال له مداعباً، ما بال هذه البقرة قد سمنت؟

قال الرجل: نعم وقد أصبحت عاقلة.

وبهذه الوسيلة عالجه ابن سينا علاجاً طبيعياً، فقد عرف علته وسببها، وعرف علاجه وتأكد أن الرجل كان يعيش معيشة غير طبيعية، فكان يأكل كما تأكل الأبقار، وكان غذاؤه لا يحتوي على المواد الغذائية الطبيعية الضرورية للصحة، فضعف جسمه وأدى ذلك إلى ضعف عقله ، حتى صار يعتقد أنه بقرة. فلما أرشده إلى تناول الطعام والشراب كما يتناول الإنسان، حتى يسمن، نفذ النصيحة، فقوي جسمه، وعادت إليه صحته، فعاد إليه عقله، وتفكيره الطبيعي؛ لأنه عاش كما يعيش الإنسان العاقل.

ومما يروى أيضاً أن مريضاً من الأمراء عُرض عليه، بعد أن أعيا الأطباء أمرُه، فلما رآه وتحدث إليه في مرضه، تبين للشيخ الرئيس أن الأمير مرض بالحب، ولكن المريض لم يرض أن يبوح للطبيعة باسم محبوبته، ولما عرف ابن سينا أن شفاء المريض متوقف على معرفة اسم من يحبها؛ كي يزيل ما بينه وبينها من وجدانات وعواطف كامنة في نفسه، قد ارتبطت بتلك المحبوبة، صمم على معرفة اسمها، ومن تكون هي بأي طريقة، وقد تجلت عبقرية ذلك الطبيب النفسي، فأمر بإحضار أكبر رجال مدينة الأمير سناً، ثم أخذ يناقشه إلى أن وصل إلى معرفة اسم الفتاة التي يحبها الأمير، وكان يخفي اسمها.

وفي أثناء هذه المحاورة مع الرجل المسن كان الشيخ الرئيس قابضاً على ذراع المريض، متتبعاً نبضه. وكان نبض المريض يشتد كلما اقترب ابن سينا من التعرف على الفتاة. وحينما عرف الاسم ازداد نبض المريض بسرعة. وقد تبين من ذلك أن الفتاة التي كان يحبها الأمير هي ابنة عمه، وأخيراً عمل أهل على أن تزف إليه، وبذلك شفي الأمير.

إن في هاتين الروايتين ما يدل على معرفة ابن سينا بالتحليل النفسي. ولا غرابة في ذلك؛ فالشيخ الرئيس كان مولعاً بالفلسفة، وهو صاحب القصيدة العينية التي ضمنها آراءه في النفس، وأولها:

هَبَطت إليكَ من المحلِّ الأرفع ورقاء ذاتُ تعزُّزٍ وتَمَنُّعِ

وهو صاحب رسالة القوى النفسانية، ورسالة النفس الناطقة.

ابن سينا الثقافة والتأليف:

إن ابن سينا هو فيلسوف الشرق العظيم، وقد أنصفه المتقدمون والمتأخرون من علماء العرب والإفرنج، فاعترفوا بأنه من أصحاب الثقافة العالية، والاطلاع الواسع،

والمواهب النادرة، والعبقرية الفذة، اشتغل بالطب، والفلسفة، والرياضيات، والفلك، والمنطق.

وقد ترك في كل ذلك مجهوداً عظيماً ساعد في رقي الإنسانية، ويلقبه بعض كتاب الفرنجة بأرسطو الإسلام وأبقراطه. وكان يستثمر كل دقيقة من حياته استثماراً تاماً؛ فكان يشتغل بشءون الدولة، ويشتغل بالتدريس، والتأليف، ويعالج المرضى. وقد أحصى العلامة الألماني (وستنفلد) من مؤلفات ابن سينا مائة وخمسة من الكتب، في علوم الطب والفلسفة والدين، والفلك، واللغة، والأدب، والموسيقا، والهندسة، والمنطق، والعلوم الطبيعية، وغيرها.

ولقد أضاف الشيخ الرئيس كثيراً إلى ثروة البشر العلمية، على الرغم من أنه عاش في عصر كثرت فيه الفتن والاضطرابات. وتمتاز مؤلفاته بمادتها الغزيرة، وبعقلية ابن سينا الجبارة، وتفكيره واستنباطه وتجاربه، كما تتسم بالدقة والعمق في البحث والترتيب. ولذلك يقول (الشهرستاني): "إن طريقة ابن سينا أدق عند الجماعة، ونظره إلى الحقائق أعوص".

وقد أحصى الأب (جورج شحاتة قنواتي) لابن سينا مائتين وستة وسبعين كتاباً ورسالة، أودعها كتاباً ضخماً له.

وكان لمؤلفات ابن سينا أثر كبير في نهضة أوربة العلمية، فامتدت آفاق النظر عند الغربيين، وأصبح للفكر العربي أثر بعيد في بلاد الفرنجة.

وكانت فلسفة ابن سينا تدرس في أكثر الجامعات الأوربية، وما زال جانب منها إلى اليوم يدرس بالجامعات الكاثوليكية.

التوصيات:

يوصي الباحث ببعض التوصيات المهمة في هذا البحث علها تفيد القارئ والكاتب والباحث والتربوي في هذا المجال وأهمها.

1- الاعتماد قبل التربويين والمدرسين على الآراء التي جاء بها ابن سينا لتغذية ما يقدمونه من أشياء جديدة في التربية وربطها بالتراث العربي الإسلامي.

2- التأكيد على بعض خصائص المدرس كما جاء بها ابن سينا لكي يكون المدرس فاعلاً وحيداً في تعامله مع طلبته ومنهجه.

قائمة المراجع

- أبو بكر عبد الرازق: **مع الغزالي في منقذه من الضلالة**، دار الفكر العربي القاهرة، 2001.
- أبو حامد محمد بن الغزالي، (تحقيق سليمان دنيا): **تهافت الفلاسفة**، دار المعارف، القاهرة، 2003.
- **مقدمة تهافت الفلاسفة المسماة مقاصد الفلاسفة**، دار المعارف، القاهرة، 1991.
- أبو علي الحسين بن سيناء، **أحوال النفس** (حققه وقدم له أحمد فؤاد الأهواني) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1992.
- **الإشارات والتنبيهات، أربعة اقسام**، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، 1957.
- **النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعة اللإلهية**، مطبعة السعادة، القاهرة، 1978.
- كتاب **المجموع** (تحقيق وشرح محمد سليم سالم)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1997.
- **مؤلفاته وشروحها**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950.
- أحمد أمين، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، مطبعة مصر، القاهرة، 2004.
- **ضحى الإسلام**، الجزء الثاني، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1992.
- أحمد أمين وزكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة الحديثة**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1991.
- أحمد شلبي، **تاريخ التربية الإسلامية**، دار الكشاف للطباعة والنشر، القاهرة، 1994.
- أحمد صيداوي، **نحو تربية مستديمة**، بحث مقدم في المؤتمر الأول للتربويين العرب، الجزء الأول الجمعية العراقية للعلوم التربوية والنفسية، بغداد، 1998.